

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشواهد والبيانات القضائية في سورة يوسف

"دراسة تطبيقية على القوانين المعاصرة"

ورقة بحثية مقدمة

أعداد:

د. حمزة حسن سليمان صالح

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - السودان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص باللغة الإنجليزية

Praise be to Allah who revealed to His Servant the Book vision and a reminder for men of understanding, and make the Praise light secrets, and a conclusion Tsarifa and destiny, and pray and to recognize the best of His creation, and the seal of His Messengers Muhammad peace be upon him, whom God sent the Koran, prayed to Allah with sure knowledge, was the cause of the guidance of people to the straight path, (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

and approach the True. صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنعام: 115)

The sura of Yusuf is considered one of the wonderful suwars in the Quran. And that because of the meanings and connotations (educational, advocacy, social, legal, economic) to the extent described by God as one of the best stories in the Holy Quran to the verse (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) because it contained all the arts the story and its elements of suspense and photographing events and coherence as scientists say the stories, for example, we find that the story had started the dream or vision he saw peace be upon him and ended investigation and interpretation of that dream and see that shirt Joseph, which was used as a guide to patent his brothers was the same as evidence of treason and this shirt used later as evidence of the innocence of Joseph himself from the charge of infringement of dear woman, and then use it to cure the eyes of his father Jacob, peace be upon him all this shows the magnificence of this story and the meaning and events in front of the reader as if he sees the pictures and sound .. What was even odder that this story contains a statement the rules and legal principles adopted by the prestigious investigators of all times and places in order to detect the perpetrators of criminal offenses in all the world Muslims and non-Muslims?? Even know the splendor of the Holy Quran and Bdaath and comprehensiveness for all aspects of life needed by the human

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وجعل الحمد فاتحة أسراره، وخاتمة تصاريفه وأقداره، ونصلى ونسلم على أكرم خلقه، وخاتم رسله محمد ﷺ، الذي أرسله الله بالقرآن، فدعا إلى الله على بصيرة، فكان سبباً في هداية الناس إلى الطريق المستقيم، والمنهج القويم، [وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (الأنعام:115).

تعتبر سورة يوسف من السور الرائعة في القرآن الكريم وذلك لما فيها من معاني ودلالات (تربوية، دعوية، اجتماعية، قانونية، اقتصادية) إلى حد وصفها الله عز وجل بأنها من أحسن القصص في القرآن الكريم لقوله تعالى: [نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين] وذلك لأنها احتوت على جميع فنون القصة وعناصرها من التشويق وتصوير الأحداث والترابط المنطقي كما يقول علماء القصص فعلى سبيل المثال نجد أن القصة قد بدأت بحلم أو رؤيا رآها يوسف عليه السلام وانتهت بتحقيق وتفسير ذلك الحلم ونرى أن قميص يوسف الذي استخدم كدليل لبراءة أخوته كان هو نفسه الدليل على خيانتهم وهذا القميص استخدم بعد ذلك كدليل لبراءة يوسف نفسه من تهمة التعدي على امرأة العزيز، ومن ثم استخدم كشفاء لعيون والده يعقوب عليه السلام، كل هذا يبين روعة هذه القصة ومعانيها وأحداثها أمام القارئ وكأنه يراها بالصوت والصورة. والأعجب أن هذه القصة تتضمن بيان قواعد ومبادئ قانونية راقية يعتمدها المحققون في كل الأزمنة والأمكنة من أجل كشف الجناة في الجرائم الجنائية في كل العالم المسلمين وغير المسلمين! حتى نعرف روعة معاني القرآن الكريم وبداعته وشموله لكل نواحي الحياة التي يحتاجها الإنسان ويتبين ذلك من خلال المباحث الواردة أدناه:

المبحث الأول: الشواهد القرآنية:

المطلب الأول: رؤية إجمالية لأحداث القصة:

القسم الأول: سبب النزول:

نكتفي بسبب واحد فقط مما جاء في سبب نزول السورة فقد روى الواحدي والطبري يزيد أحدهما على الآخر عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: أنزل القرآن فتلاه رسول الله ﷺ على أصحابه زماناً، فقالوا "أي المسلمون بمكة" :يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله [الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] " (1) .

القسم الثاني: الرؤيا الصادقة:

تحكي الآيات القرآنية الكريمة عن رؤيا رآها سيدنا يوسف حين ذهب يوسف الصبي الصغير لأبيه، وحكى له عن رؤيا رآها. أخبره بأنه رأى في المنام أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له. استمع الأب إلى رؤيا ابنه وحذره أن يحكيها لأخوته فاستجاب يوسف لتحذير أبيه ولم يحدث أخوته بما رأى، وأغلب الظن أنهم كانوا يكرهونه إلى الحد الذي يصعب فيه أن يطمئن إليهم ويحكي لهم دخائله الخاصة وأحلامه .

وقد جاء في المستدرک: "عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، رضي الله عنهم في قوله إني رأيت أحد عشر كوكباً، قال: كانت رؤيا الأنبياء وحي" (2). وقال الطبري في تفسيره: " قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: [أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين] قال: الكواكب: إخوته، والشمس والقمر: أبواه" (3). ونستمع إلى الشهيد سيد قطب معلقاً على هذه الرؤيا الحقّة: " أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لهذا الغلام لم يفصح هو عنه، ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك. ولا تظهر بواذره إلا بعد حلقتين منها، أما تمامه فلا يظهر إلا في نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب. ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلىء نفوسهم بالحق، فيدبروا له أمراً يسوؤه: [قَالَ يَا بُنَيَّ لَا

1- التحرير والتنوير – محمد طاهر بن عاشور- (12 / 5)

2- المستدرک على الصحيحين (رقم 405-396/4) وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري مسلم ولم يخرجاه.

3- تفسير الطبري – محمد بن جرير الطبري- دار هجر – (13 / 12)

تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا..] ثم علّل هذا بقوله: [إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ]. ومن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض، ويزين لهم الخطيئة والشر⁽¹⁾.

فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتقاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلاً لأمره، واستعداداً لما يرد على العبد من المشاق، لطفاً بعبد، وإحساناً إليه.

المطلب الثاني: عواقب الغيرة والحسد: القسم الأول: الشروع في القتل:

كان في تحذير يعقوب لابنه بعدم قص الرؤيا على إخوته خوفاً عليه من أن يوغر الشيطان صدور إخوته عليه وقد تحقق ذلك مباشرة، فقد اجتمع أخوة يوسف يتحدثون في أمره: [إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ] أي نحن مجموعة قوية تدفع وتنفع، فأبونا مخطئ في تفضيل هذين الصبيين على مجموعة من الرجال النافعين! فاقترح أحدهم حلاً للموضوع : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا). إنه الحقد وتدخل الشيطان الذي ضخم حب أبيهم ليوسف وإيثاره عليهم حتى جعله يوازي القتل، أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله. وطرحه في أرض بعيدة نائية مرادف للقتل، لأنه سيموت هناك لا محالة. ولماذا هذا كله؟! حتى لا يراه أبوه فينساه فيوجه حبه كله لهم. ومن ثم يتوبون عن جريمتهم (وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) .

قال ابن كثير في تفسيره: " يقولون: هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إما بأن تقتلوه، أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه، وتختلوا أنتم بأبيكم، وتكونوا من بعد إعدامه قوما صالحين، فأضمرنا

1- في ظلال القرآن - سيد قطب- (4 / 1971)

التوبة قبل الذنب"⁽¹⁾. وهذه من مكائد الشيطان الذي حذر ابنه منه، ثم عدلوا جرم القتل بجرم أقل منه لأمر يريد الله تعالى إنفاذه، قال قائل منهم- حرك الله أعماقه بشفقة خفية، أو أثار الله في أعماقه رعباً من القتل: ما الداعي لقتله؟ إن كنتم تريدون الخلاص منه، فلنقله في بئر تمر عليها القوافل، ستلتقطه قافلة وترحل به بعيداً.. سيختفي عن وجه أبيه.. ويتحقق غرضنا من إبعاده. انهزمت فكرة القتل، واختيرت فكرة النفي والإبعاد. نفهم من هذا أن الأخوة، رغم شرهم وحسدهم، كان في قلوبهم، أو في قلوب بعضهم، بعض خير لم يمت بعد.

قال ابن كثير: " لا تَصِلُوا في عداوته وبغضه إلى قتله، ولم يكن لهم سبيلٌ إلى قتله، لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بدّ من إمضائه وإتمامه، من الإيحاء إليه بالنبوة، ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها، فصرفهم الله عنه بمقالة روبيل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب، وهو أسفله"⁽²⁾.

القسم الثاني: تنفيذ المهمة وسوء النية:

بعد أن حبك الإخوة الجريمة المنكرة بالتخطيط الذي تشاورا فيه توجه الأبناء لأبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم، دار الحوار بينهم وبين أبيهم بنعومة وعتاب خفي، وإثارة للمشاعر.. (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ؟) أيمن أن يكون يوسف أخانا، وأنت تخاف عليه من بيننا ولا تستأمننا عليه، ونحن نحبه وننصح له ونرعاه؟ لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب؟ ورداً على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب عليه السلام ينفي - بطريقة غير مباشرة- أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجاجه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب: قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، فنفوا بشدة فكرة الذئب الذي يخاف أبوه أن يأكله.. نحن عشرة من الرجال.. فهل نغفل عنه ونحن كثرة؟ نكون خاسرين غير أهل

1- تفسير ابن كثير / دار طيبة - (4 / 372)

2- المرجع نفسه

للرجولة لو وقع ذلك.. لن يأكله الذئب ولا داعي للخوف عليه. وافق الأب تحت ضغط أبنائه.. ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته !
ويعد هذه الحيلة الماكرة ماذا حدث؟ خرج الأخوة ومعهم يوسف، وأخذوه للصحراء، اختاروا بئراً لا ينقطع عنها مرور القوافل وحملوه وهموا بإلقائه في البئر.. وأوحى الله إلى يوسف أنه ناج فلا يخاف.. وأنه سيلقاها بعد يومهم هذا وينبئهم بما فعلوه.

القسم الثالث: محاولة اثبات البراءة:

ونستمع الآن إلى محاولتهم المكشوفة في إثبات برائتهم فعند العشاء جاء الأبناء باكين ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة. أخبروه بأنهم ذهبوا يستبقون، فجاء ذئب على غفلة، وأكل يوسف. لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها من المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم! ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى. كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب دليلاً على التسرع، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس، وهم ينفونها. فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطحوه به في غير إتقان ونسوا في انفعالهم أن يمزقوا قميص يوسف.. جاءوا بالقميص كما هو سليماً، ولكن ملطخاً بالدم.. وانتهى كلامهم بدليل قوي على كذبهم. فلما كانت فعلتهم التي فعلوها بكيد من الشيطان فقد جاء تبريرهم لها تبريراً واهياً أوهى من بيت العنكبوت وحاولوا بطريقة ساذجة إثبات براءتهم عندما ادعوا أن الذئب قد أكل أخاهم فقالوا - متعذرين بعذر كاذب - [يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا] توفيراً له وراحة. [فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ] في حال غيبتنا عنه في استباقنا [وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ] أي: تعذرننا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقعة الشديدة عليه، وما أنت بمطمئن لما نقوله، ولو كان هو الصدق، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله.

أدرك يعقوب من دلائل الحال ومن نداء قلبه ومن الأكذوبة الواضحة، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً وذلتته ويسرت لهم ارتكابه، وأنه سيبصر متحماً متجماً لا يجزع ولا يفرع ولا يشكو، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). قال محمد رشيد رضا في تفسيره: " أي بمصدق لنا في قولنا هذا، لاتهامك إيانا بكرهه يوسف وحسدنا له على تفضيلك إياه علينا في الحب والعطف، ولو كنا صادقين في الأمر الواقع أو نفس الأمر، أو ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا في هذا الخبر لشدة وجدك بيوسف" (1).

المطلب الثالث: التمكين والفتنة والظلم وتبعاتها: القسم الأول: الخروج من الجب والإكرام:

وجاء الفرج وبدأت بشریات الرؤيا الصالحة في الظهور وكان قدر الله تعالى نافذاً عندما أرسل ليوسف وهو في غيابة الجب من ينتشله ويخرجه من هذه المحنة، فأثناء وجود يوسف بالبئر، مرت عليه قافلة في طريقها إلى مصر.. قافلة كبيرة.. سارت طويلاً حتى سميت سيارة.. توقفوا للتزود بالماء.. وأرسلوا أحدهم للبئر فأدلى الدلو فيه.. تعلق يوسف به.. ظن من دلاه أنه امتلأ بالماء فسحبه.. ففرح بما رأى.. رأى غلاماً متعلقاً بالدلو.. فسرى على يوسف حكم الأشياء المفقودة التي يلتقطها أحد.. يصير عبداً لمن التقطه.. هكذا كان قانون ذلك الزمان البعيد. فرح به من وجده في البداية، ثم زهد فيه حين فكر في همه ومسئوليته، وزهد فيه لأنه وجده صبيّاً صغيراً.. وعزم على التخلص منه لدى وصوله إلى مصر.. ولم يكد يصل إلى مصر حتى باعه في سوق الرقيق بثمن زهيد، دراهم معدودة. ومن هناك اشتراه رجل تبدو عليه الأهمية. [وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ] قال البغوي: " وهم القوم المسافرون، سُموا سيارة لأنهم يسيرون في

الأرض، كانت رفقة من مدين تريد مصر⁽¹⁾. ففضى الله تعالى إخراجهم وإكرامهم عندما عهد بأمره إلى عزيز مصر [وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] جاء في التحرير والتنوير: " فالمعنى: اجعلي إقامته عندك كريمة، أي كاملة في نوعها. أراد أن يجعل الإحسان إليه سبباً في اجتلاب محبته إياهما ونصحه لهما فينفعهما، أو يتخذانه ولداً فيبر بهما وذلك أشد تقرباً. وإنما قال ذلك لحسن تفرسه في ملامح يوسف - عليه السلام ⁽²⁾ ". وقد وصل يوسف إلى مصر، وبيع ببيع الرقيق ولكن الذي اشتراه توسم فيه الخير - والخير يتوسم في الوجوه الصباح، وبخاصة حين تصاحبها السجاي الملاح - فإذا هو يوصي به امرأته خيراً، وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرؤيا⁽³⁾.

وهنا انتهت المحنة الأولى في حياة هذا النبي الكريم، لتبدأ المحنة الثانية، والفصل الثاني من حياته. ثم يكشف الله تعالى مضمون القصة البعيد في بدايتها (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). لقد انطبقت جدران العبودية على يوسف. ألقى في البئر، أهين، حُرِمَ من أبيه، التقط من البئر، صار عبداً يباع في الأسواق، اشتراه رجل من مصر، صار مملوكاً لهذا الرجل.. انطبقت المأساة، وصار يوسف بلا حول ولا قوة .. هكذا يظن أي إنسان.. غير أن الحقيقة شيء يختلف عن الظن تماماً. ما نتصور نحن أنه مأساة ومحنة وفتنة.. كان هو أول سلم يصعده يوسف في طريقه إلى مجده.. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) .. ينفذ تدبيره رغم تدبير الآخرين. ينفذ من خلاله تدبير الآخرين فيفسده ويتحقق وعد الله، وقد وعد الله يوسف بالنبوة . وها هو ذا يلقي محبته على صاحبه الذي اشتراه.. وها هو ذا السيد يقول لزوجته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. وليس هذا السيد رجلاً هين الشأن.. إنما هو رجل مهم.. رجل من الطبقة الحاكمة في مصر.. سنعلم بعد قليل أنه وزير من وزراء الملك. وزير خطير سماه القرآن 'العزيز'، وكان قداماء المصريين يطلقون الصفات كأسماء على الوزراء. فهذا العزيز.. وهذا العادل.. وهذا القوي.. إلى

1- تفسير البغوي - (4 / 223)

2- التحرير والتنوير - (12 / 42)

3- في ظلال القرآن - (4 / 1978)

آخره.. وأرجح الآراء أن العزيز هو رئيس وزراء مصر. وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض.. سيتربى كصبي في بيت رجل يحكم. وسيعلمه الله من تأويل الأحاديث والرؤى.. وسيحتاج إليه الملك في مصر يوماً. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. تم هذا كله من خلال فتنة قاسية تعرض لها يوسف. ثم يبين لنا المولى عز وجل كرمه على يوسف فيقول: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) كان يوسف أجمل رجل في عصره.. وكان نقاء أعماقه وصفاء سريرته يضيفان على وجهه مزيداً من الجمال. وأوتي صحة الحكم على الأمور.. وأوتي علماً بالحياة وأحوالها. وأوتي أسلوباً في الحوار يخضع قلب من يستمع إليه.. وأوتي نبلاً وعفة، جعلاه شخصية إنسانية لا تقاوم. وأدرك سيده أن الله قد أكرمه بإرسال يوسف إليه .. اكتشف أن يوسف أكثر من رأى في حياته أمانة واستقامة وشهامة وكرماً.. وجعله سيده مسئولاً عن بيته وأكرمه وعامله كابنه.

القسم الثاني: فتنة النسوة بيوسف:

ونقف هنا عند محنة أخرى تجيئه في حياته، وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى. تجيئه وقد أوتي صحة البدن وأوتي العلم - رحمة من الله - لمواجهة وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله له في قرآنه [وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] يقول سيد قطب: " والنص هنا صريح وقاطع في أن رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التآبي، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود"⁽¹⁾. ثم تتبع هذه الفتنة فتنة نسوة القصر اللاتي افتتن به أيما فتنة وقد أرادت ذلك امرأة العزيز التي رأت من تبكيتهن إياها بما فعلت فأرادت أن تبين لهن أنها معذورة فيما فعلت، [فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ

أَكْبَرَنَّهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ] عند ذلك كان الاعتراف الصريح، كما قال الطبري: " قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل وعُزوب الفهم وَلَهَا، أَلِهْتُنَّ حَتَّى قَطَعْتُنَّ أَيْدِيَكُنَّ، هو الذي لمتنني في حبي إياه، وشغف فؤادي به، فقلتن: قد شغف امرأة العزيز فتاها حُبًّا، ثم أَقَرَّتْ لَهْنُ بِأَنهَا قَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ"⁽¹⁾.

القسم الثالث: دخول السجن ظلماً:

وبعد أن ظهرت الآيات بينة جلية في براءة يوسف عليه السلام في مرادوته لامرأة العزيز وأرادت أن تزيهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: [وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] أي: امتنع وهي مقيمة على مرادوته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً. ولهذا قالت له بحضرتين: [وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ] لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن، قال الماوردي في تفسيره: " وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقِهِ مَا حَكَى السَّيِّدُ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَالَتْ لِرُجُلِهَا: إِنْ هَذَا الْعَبْدُ الْعِبْرَانِي قَدْ فَضَحَنِي وَقَالَ إِنِّي رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَطْلُقْنِي حَتَّى أَعْتَذِرَ وَإِنَّمَا أَنْ تَحْبِسَهُ مِثْلَ مَا حَبَسْتَنِي، فَحْبِسَهُ"⁽²⁾ فكان رده عليه السلام: [قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] وهذا يدل على أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيده، وجعلن يكدنه في ذلك، فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد. وهكذا كان دخول السجن مما نجاه الله به من هذه الفتنة الملمة والمحنة الشديدة، بعد طلب ذلك خوفاً على نفسه من هذه الفتن التي ألمت به.

المبحث الثاني: مقدمات الفرج:

-
- 1- جامع البيان (تفسير الطبري) - (16 / 85)
 - 2- تفسير الماوردي - النكت والعيون - (3 / 35)

المطلب الأول: رؤيا الملك وتعبيرها

القسم الأول: تفسير الرؤيا

بدأت أولى مقدمات الفرج للمحن والفتن المتتالية التي تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام عند دخوله السجن وماحدث له من أحداث داخل السجن عندما توسم فيه السجناء سيما الخير والصلاح [نَبَّأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] وكان تعبيره للرؤيا التي حكاها هؤلاء السجناء فاتحة خير وبداية فرج له عندما قال للناجي منهما [وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ] وذلك بعد عدد من السنين قضاها في السجن وكانت رؤيا الملك هي الفرج الذي وعده الله تعالى به.

القسم الثاني: التكليف والتمكين:

إن قدر الله نافذ ولو بعد حين فإذا قضى الله تعالى أمراً فلا راد له من أحد، وبعد مجموعة من الابتلاءات والفتن والمحن التي مر بها سيدنا يوسف عليه السلام هاهي بوارد الفتح والانفراج تبدو في الأفق: [وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ] كانت هذه الرؤيا هي المقدمة لبشريات الفرج والفتح والتمكين لسيدنا يوسف في أرض الله، وذلك للأحداث التي توالى بعدها وقصتها الآيات القرآنية المعروفة حتى وصوله للملك ومثوله بين يديه: [وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ].

القسم الثالث: إكرام ذوي القربى

وصل النبي الكريم إلى أعلى درجات الشرف والسؤدد عندما ولاه الملك خزانة الدولة وكان يحسن إدارتها بما آتاه الله من الحكمة، ولما كانت من سيما الأنبياء الكرم وبخاصة لذوي القربى فقد أكرم إخوته عندما حضروا للميرة، قال الإمام السيوطي في

تفسيره: "فلما رجع القوم إلى أبيهم كلموه فقالوا: يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة لو كان رجلاً منا من بني يعقوب ما أكرمنا كرامته"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الفتح المبين (انكشاف الغيب المحجوب) القسم الأول: الاعتراف سيد الأدلة:

وهاهي بشريات الفرج لاحت في الظهور وبدأ كشف الغيب المستور وجاءت لحظة المواجهة بما اقترف إخوته من ذنب في حق أخيه [قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ] فأراد الله تعالى أن يكشف لهم ما كان خافياً عليهم خلال فترة تعاملهم مع أخيهام وهم لا يعرفونه [قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُّوسُفُ قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] فاعترفوا بما اقترفوا بمن ذنب في حقه: [قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ].

القسم الثاني: الحكمة النبوية:

اعترف الإخوة بما اقترفوا من ذنب فالنظر إلى الرد الحكيم والصفح المبين من النبي الكريم

[قَالَ لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] قال السعدي في تفسيره " قَالَ لَهُم يوسف عليه السلام، كرماً وجوداً: لا أثرب عليكم ولا ألومكم فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين"⁽²⁾. وقال بعضهم: إن تجاوز يوسف عن ذنب إخوته، وإبقائه عليهم، ومصافاته لهم، تعلمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا، ونحسن إليه، ونصفي له الود، وأن نغضي عن كل إهانة تلحق بنا، فيسبغ الله تعالى إذ ذاك علينا نعمه وخيراته في هذه الدنيا، كما أوسع على يوسف ويورثنا السعادة الأخروية. وأما إذا أضمرنا سوء

1- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - (8 / 194)

2- تفسير السعدي - (1 / 404)

للمسيئين إلينا، ونقمنا منهم، فينتقم الله منا، ويوردنا مورد الثبور، فنعود بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

القسم الثالث: لم الشمل:

والآن نمتع أنفسنا بتخيل هذا المنظر البديع في لم شمل الأسرة النبوية الكريمة وتحقيق وعد الله لنبيه وتفسير رؤيا يوسف عليه السلام في فاتحة السورة: [فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] يقول الشهيد سيد قطب: " ويا له من مشهد! بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام. وبعد اليأس والقنوط. وبعد الألم والضيق. وبعد الامتحان والابتلاء. وبعد الشوق المضني والحزن الكامد واللهف الظامئ الشديد. يا له من مشهد حافل بالانفعال والخفقان والفرح والدموع! ويا له من مشهد ختامي موصول بمطلع القصة: ذلك في ضمير الغيب وهذا في واقع الحياة. ويوسف بين هذا كله يذكر الله ولا ينساه" (1).

المبحث الثالث: التطبيقات المعاصرة:

المطلب الأول: دلالات القميص الثلاث:

القسم الأول: القميص الملوث بالدم الكذب:

ورد ذكر القميص في السورة الكريمة في ثلاثة مواضع متفرقة جاء كل موضع منه بدلالته القانونية التي يمكن استنباطها من هذه الآيات: فجاء ذكره في الآية الأولى في موضع اتهام الذنب بأكله عندما ذهب به إخوته للعب معهم: [وجاءوا على قميصه بدم كذب...] ، فالجناة أخوة يوسف عليه السلام كيما يدفعوا عنهم الجريمة، اصطنعوا بيئة كاذبة وهي القميص الملوخ بالدم إدعاءً منهم ونسبته (أي الدم) إليه،

1- في ظلال القرآن - (4/ 2029)

وفي الوقت المعاصر تتبين مثل هذه الإدعاءات عن طريق تحليل الدم ومعرفة نسبته إلى شخص معين أو عدم نسبته إليه من خلال الحقيقة العلمية أن لكل شخص فصيلة دم معينة، ومن خلال تمييز دم الإنسان من الحيوان عن طريق نمط الدم والأنسجة الحيوية الموجودة فيه، ولم يحتج الأمر إلى تحليل في ذاك الأوان، فقد فضحهم الله إذ وصف الدم بأنه كذب هذا من ناحية، كما أنه من ناحية أخرى تلعب خبرة نبي الله يعقوب عليه السلام دوراً في فضح كذبهم فإن يعقوب رأى قميصاً لم تعمل فيه أنياب الذئب قميص سليم مغموس بدم فكيف أكله الذئب - ما هذا الذئب الذي له ذوق يأتي للولد ويخلع قميصه ثم يأكله - كيف يأكله الذئب والقميص سليم ما به تمزيق.

القسم الثاني: القميص والشاهد:

والموضع الثاني الذي ذكر فيه القميص عندما تعرض عليه السلام لفنتنة امرأة العزيز وشهد الشاهد الذي قال: [وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ] وهذا موضع في دلالات قانونية معاصرة كثيرة جداً نذكر منها:

أولاً : فاعلية الأخذ برأى الخبراء، فالشاهد المذكور في الآية لم يشهد بحواسه على الواقعة، ولكنه شهد بما لديه من علم بمثل هذه الأحوال، وهو نوع من الخبرة الفنية (شهادة أهل الرأي والعارفين بالأحوال).

ثانياً: عبارة مَنْ أَهْلِهَا الواردة في الآية تحمل دلالة قضائية تتمثل في أن البيئة المقدمة من شخص ضد من يمت له بقرابة تأخذ وزناً وقيمة كبرى، بمعنى أنها تمثل حجة كافية للنهوض ضد ما أدعاه الشخص المقدمة ضده ، لأنها تخلو من شبهتي الولاء أو العدا.

ثالثاً: أهمية العمل بالقرائن: وتعرف القرينة بأنها: (كل أمانة ظاهرة تقارن شيئاً خفياً تدل عليه)⁽¹⁾، وهي الأمانة التي نص عليها الشارع أو استنبطها أئمة الشريعة

1- مصطفى الزرقاء ، المدخل الفقهي العام (918/2) .

باجتهادهم، أو استنتجها القاضي من الحادثة وظروفها وما يكتنفها من أحوال، وتعرف في الجانب القانوني بأنها: ما يستتبطه المشرع أو القاضي من أمر معلوم للدلالة على أمر مجهول.

فواقعة قدّ القميص من القبل أمر معلوم يدل على أمر مجهول وهو صدق امرأة العزيز وكذب يوسف لما يفيد من أنه أتاها متحرشاً، وقدّ القميص من دبر أمر معلوم يدل على أمر مجهول وهو صدق يوسف وكذب امرأة العزيز لما يفيد من أنه أعرض عنها فلاحقته بالطلب، وقد أخذ العزيز بشهادة الخبرة هذه وأجرى حكم القرينة و (رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ..) وبها توصل إلى الحكم فقال: (.. إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ..).

القسم الثالث: القميص والعلاج:

أما الموضع الثالث من مواضع ذكر القميص فجاء في قوله: [اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين]، [وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ] فقد استعمل القميص هنا استعمالاً قانونياً معاصراً وذلك بما عرف حديثاً بالبصمة ودورها في كشف الجريمة. فالثابت أن لكل شخص بصمة عرق خاصة به تميزه، ويعتبر رائحة العرق أحد الشواهد في مسرح الجريمة التي يستدل بها علي وجود أو عدم وجود المتهم أو المشتبه به لهذا تستخدم الكلاب البوليسية في شم الآثار التي تُحرّز في موقع الجريمة بغية التعرف على المجرم من رائحته.

المطلب الثاني: عقوبة السجن وطبيعتها:

القسم الأول: الاتهام الموجه:

راودت امرأة العزيز سيدنا يوسف وعندما ضبطت الحالة وجهت الاتهام له محاولة تبرئة نفسها [وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]، الثابت أن يوسف عليه السلام حاول الفرار ولاحقته هي وتدافعا عند الباب وجذبتة فقدت قميصه، وعندما رأي العزيز الواقعة الإجرامية، ظهر ذكاء المجرم ومحاولته درء الواقعة عن

نفسه فقالت (..مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..) فسلكت مسلكين: الأول: الاتهام الكاذب بإلقاء التهمة عليه. الثاني: تحديد العقوبة، بما يدل على أنه الجاني جزماً. واستخدم يوسف عليه السلام من الدفوعات القانونية قوله: (.. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي..) ليكون في مقابل قولها ليضع من يحكم (عزيز مصر بين قولين مختلفين، قولها هي باتهام يوسف، وقوله هو باتهامها، وهاتين كفتين متساويتين يلزم الفصل بينهما لذا جاءت البيئة الممثلة في شهادة الخبرة المتضمنة العمل بالقرينة.

القسم الثاني: إثبات البراءة ودخول السجن:

تعرض سيدنا يوسف فيما تعرض له من محن وابتلاءات في دخوله السجن ظلماً، وبعد أن ثبتت براءته بينة واضحة للعيان ورغم ذلك فقد حكم عليه بدخول السجن. واستخدم السجن في الآيات بمعنيان، الأول المكان أو الحيز الذي تتم فيه تمضية العقوبة، والثاني العقوبة نفسها وتوصف بأنها العقوبة السالبة للحرية وتوصف بأنها من أشد أنواع العقوبات وأقدمها وكما استخدمت في العصور القديمة فما زالت تطبق حتي الآن ولا يكاد نظام أو تشريع يخلو منها، والمجال لا يتسع للحديث عن الدلالات القانونية المعاصرة المشابهة لما مر علي سيدنا يوسف عليه السلام داخل السجن إذ يلزم أفراد بحث مستقل له.

المطلب الثالث: السرقة وعقوبتها:

القسم الأول: طرق الإثبات

جاء في معرض آيات السورة الكريمة ذكر للسرقة [فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ] [فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ۖ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ].

هنالك أمران مهمان:

الأول: المكيدة الربانية المتمثلة في دس صواع الملك ساعة تجهيز أخوة يوسف بالبضاعة كيما يكون هنالك مبرر لبقاءه مع أخيه، وإن كانت مشروعة في هذا الموقف، فإن الأمر في القوانين الآنية يعد محرماً ومنافياً لقواعد البينات والإثبات، إذ

لا يجوز قبول بينة جاءت على سبيل الإختلاق أو الدس وتوصف بالبطلان إضافة لكونها جريمة يُعاقب عليها القانون الجنائي (اختلاق البينة الباطلة).

الثاني: التفتيش والبحث عن الأدلة: المقصود به هو: " إجراء من إجراءات التحقيق تقوم به سلطة حددها القانون يستهدف البحث عن الأدلة في محل خاص يتمتع بالحرمة بغض النظر عن إرادة صاحبه"⁽¹⁾، وهكذا فعل عمال السلطان، وتبدو مظاهر حنكة تتمثل في إجراءات الضبط للبينّة وهي البدء بأوعيتهم ليكون أدعي للقبول عندهم وللبعد عن مظاهر الشبهة حال بدئهم بوعاء أخيه واستخراج الوعاء منه.

1- الوعد بجائزة، وهو تصرف من تصرفات الإرادة المنفردة يتمثل في الإعلان عن جائزة لمن يعثر على الشيء أو من يقوم بأداء عمل معين.

2- الضمان والكفالة: وكلمة زعيم بمعنى الضامن أو الكفيل أو الغارم، قال ابن عباس رضي الله عنهما الزعيم الكفيل وذلك باعتبار أن شرع من قبلنا هو شرع لنا كما ذهب إليه الحنفية والحنابلة⁽²⁾، والكفالة أو الضمان، تطلق على التزام الدين والعين والبدن وعلى العقد المحصل لذلك⁽³⁾.

3- الجعالة الممثلة في قيمة الجائزة، وحددتها الآيات بما قيمته حمل بغير من البضاعة أو الزاد.

وكل ما ذكر تأخذ به الأحكام القانونية وله تشريعاته المفصلة في النظم الحديثة.

القسم الثاني: تعيين الشهود:

نلاحظ من سياق الآيات في السورة الكريمة أن إخوة يوسف عندما هموا بقتله وجاءوا على قميصه بدم كذب لم يطلبوا شاهداً على ذلك ولكنهم في الحالة الثانية عندما قرر العزيز أن يأخذ أخاهم طلبوا من أبيهم شهوداً فقالوا: [وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي

1- د/ سامي حسنى الحسينى ، النظرية العامة للتفتيش ، دار النهضة العربية، القاهرة 1972م، ص37

2- أصول الفقه لأبي زهرة ص 307.

2- الرملي في نهاية المحتاج / المنهاج 418/4.

كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] تحمل هذه المقولة من قبل إخوة يوسف من الدلالات القانونية ما تحمل من حق الدفاع بواسطة من اتهم، ومظهر ذلك الحق بالاستعانة بالشهود لتأكيد الأقوال في سياق جريمة السرقة بواسطة أخيهم، فهناك تحديد واضح للشهادة والاستعانة بأقوال أهل القرية، وصحبة القافلة وهما أمران يدلان على صحة الأمر وشيوعه لذا جاء اللفظ بدون تعيين لأسماء الشهود.

القسم الثالث: التجسس والتحسس:

كان توكل سيدنا يعقوب على الله كبيراً وثقته في رحمة الله وفضله لا تحدها حدود لذلك عندما جاءه أبناءه بخبر بقاء أخيهم مع العزيز قال: [قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] ثم أتبع ذلك بتطبيق عملي فقال لهم: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ...) .

ومعنى التحسس والتجسس قال بعض العلماء: " التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالحيم: البحث عن العورات، وقيل بالحيم التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل بالحيم أن تطلبه لغيرك وبالحاء أن تطلبه لنفسك قاله ثعلب، وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال" (1).

ومن الناحية القانونية فإن التجسس نوعان مشروع، وغير مشروع ويعتبر من الجرائم التجسس على البلاد، والتجسس على الأسرار والأخبار الخاصة، والتجسس لأخبار وعورات الناس أمر مستهجن اجتماعياً إلا في حالات استثنائية وليس هنالك معيار ثابت ومستقر لما يُعد مباحاً أو محرماً وإنما هو بحسب الحال والعرف. ومن ناحية أخرى في حالات الضبط القضائي يعد التحسس والتجسس مشروعاً للسلطات العامة لحماية المجتمع وأمنه من خطر الإجرام ولكن وفق ضوابط وشروط واجبة المراعاة.

¹- صحيح مسلم بشرح النووي (119/6).

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا براعة وإعجاز القرآن الكريم في كل نواحي الحياة وإصلاحها لكل الأزمنة والأمكنة وبيانها في هذه السورة المباركة أهم المبادئ الأساسية في التحقيق في الجرائم الجنائية العالمية علماً بأن القرآن الكريم يحتوي على مبادئ قانونية أخرى رائعة مثل البصمة ودورها في كشف الجرائم بمختلف أنواعها كما في سورة القيامة [بلى قادرين على أن نسوي بنانه] لكونها تختلف من إنسان إلى آخر كما اكتشفها العلم الحديث وهذا يزيدنا ثقة واطمئناناً بإعجاز الآية القرآنية [ما فرطنا في الكتاب من شيء] أي تطرق القرآن الكريم إلى كل جوانب الحياة إما بشكل مباشر أو غير مباشر واللييب بالإشارة يفهم.

نتائج البحث:

بالامكان اختصار أهم نتائج البحث فيما يلي:

- (1) بيان قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر.
- (2) إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية كما سيأتي عند قوله تعالى: [إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا] .
- (3) تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحى عباده.
- (4) بيان تحاسد القرابة فيما بينهم.
- (5) لطف الله بمن يصطفيه من عباده.
- (6) العبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة.
- (7) تسلية النبي ρ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلم من الأذى.
- (8) وقد لقي النبي ρ من آله أشد ما لقيه من بعداء كفار قومه، فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البعداء، كما قال طرفة:
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة *** على المرء من وقع الحسام المهند

قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ].

(9) العبرة بهجرة قوم النبي ρ إلى البلد الذي حل به كما فعل يعقوب -عليه السلام- وآله، وذلك إيماء إلى أن قريشا ينتقلون إلى المدينة مهاجرين تبعا لهجرة النبي ρ .

(10) وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجاريتها. واسترقاق الصبي اللقيط. واسترقاق السارق، وأحوال المساجين. ومراقبة المكايل.

(11) وفي هذه السورة أسلوباً خاصاً من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم.

أهم المراجع والمصادر:

(1) القرآن الكريم

(2) التحرير والتنوير - محمد طاهر بن عاشور - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م

(3) المستدرك على الصحيحين محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ، 1411 - 1990 - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا

(4) جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري - تحقيق : أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

(5) في ظلال القرآن - الشيخ الشهيد / سيد قطب إبراهيم دار النشر : دار الشروق . القاهرة .

6) تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
- المحقق : سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة الثانية
1420هـ - 1999 م

7) تفسير المنار- محمد رشيد بن علي رضا- الهيئة المصرية العامة للكتاب:
1990 م

8) (تفسير الماوردي) النكت والعيون- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماوردي البصري-دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

9) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان--عبد الرحمن بن ناصر بن عبد
الله السعدي --لمحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة-
اطبعة الأولى 1420هـ-2000م

10) النظرية العامة للتفتيش ،د/ سامي حسنى الحسينى ، دار النهضة العربية،
القاهرة 1972م.

11) الدر المنثور-عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي-لمحقق: مركز هجر
للبحوث-دار هجر - مصر-1424 هـ - 2003 م

12) صحيح مسلم -مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري--دار
إحياء التراث العربي - بيروت-تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء
التراث العربي - بيروت-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

13) المدخل الفقهي العام- مصطفى الزرقاء.